

## بسم الله الرحمن الرحيم

### المحاضرة الرابعة

### البيان العلمي للعقيدة الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد

مرحباً بكم أيها السادة والسيدات في محاضرتنا الرابعة من محاضرات العقيدة الإسلامية وأذكر أننا في آخر محاضرتنا السابقة كنا نتكلم عن معنى القضاء والقدر وأجبنا عنها، وكان آخرها السؤال التالي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيما صح عنه في الحديث الصحيح نعم الذي أوله ((إنه ليجمع خلق أحدكم في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون مثله علقة)) إلى آخر الحديث وفي نهايته يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ((فوالذي نفسي بيده إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها))، لعل البعض منا يتساءل إذا كان الأمر هكذا كما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فماذا يملك الإنسان من أمر نفسه؟ وهل الأمر إلا أن الله عز وجل خلق للنار فئات وأصنافاً وخلق للجنة أصنافاً؟ وقد قلنا في الجواب عن ذلك في آخر محاضرتنا السابقة: إن النبي عليه الصلاة والسلام قال في رواية أخرى كرر هذا الكلام وقال ((إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراعاً)) إلى آخره ثم قال ((وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار في ما يبدو)) فلنقف عند كلمة (فيما يبدو) هذه ماذا تعني؟ أي: هنالك فئات كثيرة من الناس في الظاهر تراهم يؤدون الطاعات ويتقربون إلى الله بالعبادات، ولا تكاد تجد في حياتهم انحرافاً فهم يعملون بعمل أهل الجنة فيما يبدو، ولكن الله يطلع على سرائرهم ويرى في قلوبهم رياءً عجباً يرى في أفئدتهم أضغاثاً وأحقاداً على المسلمين يرى معاني سماها الله في محكم كتابه باطن الإثم تهدم هذه المعاصي الباطنة كل مظاهر الطاعات الظاهرة والبادية، ومن ثم يختم له بالشقاء، لكن هذا الإنسان عندما ختم له بالشقاء لم يأتته

الشقاء طفرة مع أن الرجل تعب على نفسه وكّد وجهه في سبيل مرضاة الله لا بل خاتمة الشقاء التي ظهرت في نهاية حياته غرسٌ غرسه الرجل بيده خلال حياته كلها، وكان ينمي هذا الغرس بما يسميه القرآن: باطن الإثم من رياء من عُجِب من تكبر من حسد من معانٍ لا تظهر على الساحة في نطاق الصور والأشكال، ولكنها أمر يراه الله سبحانه وتعالى فهذا الإنسان عندما ختم له بالشقاء كانت هذه الخاتمة مظهراً من مظاهر عدالة الله عز وجل والصور لا تفيد (إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أجسادكم ولكن ينظر إلى قلوبكم) والآخر أيضاً الذي تراه يعمل بعمل أهل النار ما تراه يوماً من الأيام إلا وهو متلبس بمعصية من المعاصي فتقول في نفسك إن تسرّعت هذا الرجل حشر جهنم وهذا الإنسان لا خير فيه ومن الخطأ أن تقول: هذا لأنك لا تعلم طوية قلبه لعل الرجل عندما يعود إلى داره مساء يبكي وينوح على ذنبه ويرى نفسه ضئيلاً صغيراً بين الناس جميعاً وما من إنسان من الناس إلا ويراه خيراً منه، وهكذا فإن مشاعر العبودية تكون طافحة بين جوانحه وفي فؤاده وربما كانت لهذا الإنسان أعمال أخرى مبرورة بينه وبين الله عز وجل لا يراها العباد هذا الإنسان مهما ارتكب من السيئات والأوزار تشفع له عبوديته الضارعة بينه وبين ربه تشفع له أعماله المبرورة التي لا يراها إلا الله عز وجل، وفجأة تجد هذا الإنسان في آخر حياته قد اهتدى وسلك طريق الرشده وربما عجب الناس من أمره إذن فالأول الذي كان يعمل في الظاهر بعمل أهل الجنة كان عمله منظوياً على زغل، ولذلك فاحت رائحة العفونة في آخر حياته وختم الله له بالشقاء، وذلك الذي يعمل بعمل أهل النار كان شفيعه وهو يعمل بعمل أهل النار ذل عبوديته لله سبحانه وتعالى وضراعه لله وربما كان يدعو الله وخضوعه وتواضعه بين عباد الله فما يرى من إنسان حوله إلا ويراه أفضل منه.

إذن لا إشكال في هذا الموضوع ولذلك قال العلماء: ينبغي على الإنسان أن يكون أديباً مع عباد الله جميعاً فإن رأيت إنساناً متطوحاً في المعاصي في الظاهر فلا تسارع في الحكم عليه لأنك لا تدري طوية أمره ولا تدري لعل الله عز وجل يغفر له بنور يشرق بين جوانحه وهذه هي سنة الله عز وجل في عباده الرب سبحانه وتعالى يصطلح مع عبده لعمل ربما نراه بسيطاً يجذبه إليه والعبد يشنأ ربه ويغضه بعد أن سلك إلى الله الطريق لعمل ربما نظنه صغيراً لكنه عند الله كبيراً، من كان مالك بن دينار في معظم حياته؟ كان شُرْطِيّاً كان سكيراً، ولكن الله عز وجل هداه هكذا بدون موجب، لو كان كذلك لكان الأمر مشكلة لا كان هنالك موجب، ومالك بن دينار هو الذي يخبر ويصف السبب في توبة الله عليه قال كنت شُرْطِيّاً ووصف نفسه بنعت الجاهلية آنذاك قال وفي يوم من الأيام كنت أرقب الناس في السوق فرأيت رجلاً يتلاحيان أي يتخاصمان وراقبتهما من بعد فإذا بالواحد

منهما تغلب على الثاني واستلبه متاعاً كان في يده ودنوت إليهما فسمعت المغلوب يقول سيسألك الله عز وجل يوم القيامة عن ظلمك لي فإني لم أخرج إلى السوق إلا انصياعاً لحديث رسول الله ((من خرج إلى السوق فابتاع منه متاعاً فعاد إلى الدار وخصّ به البنات نظر الله إليه يوم القيامة)) وقد سلبتني فرح بنياتي وسيسألك الله عن هذا يقول مالك بن دينار فداخلتني شفقة عظيمة لهذا الإنسان المظلوم ورجوت إن أنا أخذت على يد الظالم وانتصرت لهذا المظلوم أن يغفر الله لي خطيئتي وإثمي، فأسرعت إليهما وأخذت المتاع من الظالم وأعدته إلى صاحبه ولما رأيت فرحه ورأيته يريد أن يمضي قلت له: يا هذا عهد يسألك الله عنه يوم القيامة إذا ذهبت إلى دارك ورأيت فرح بناتك بما تحمله إليهن أن تطلب منهن الدعاء لي وقل لهن: مالك بن دينار.

وانظروا إلى هذا العمل الإنساني الذي تفوح منه رائحة التذلل لله والاعتراف بالعصيان والاعتراف بالبعد عن الله حتى إنه يطمع في دعاء الأطفال له هذا هو الذي جعل حياته تنقلب رأساً على عقب وولد منذ تلك الساعة مالك بن دينار الرجل العظيم الداعية الكبير الذي كان يغشى درسه الآلاف من الناس وما أكثر الذين هداهم الله بمثل هذا .

إذن ماذا بقي من الإشكال أيها السادة فيما يتعلق بالقضاء والقدر لم يبقَ أي إشكال قط لعل بعضاً منكم يسأل ألا يتدخل إن جاز هذا التعبير الباري عز وجل في قلوب عباده فيزيد عندهم عزيمة الخير عندما يشاء أو يزيد عند بعضهم عزيمة الشر قوة عندما يشاء الجواب نعم هنالك ما يسمى بالألطف الإلهية وهنالك ما يسمى بالإضلال أيضاً هذا موجود لكنه يسير حسب سنة إلهية وصفها الله عز وجل في كتابه الإنسان الذي عزم على أن يسلك سبيل الرشداً أي كان هذا السبيل ثم كان بين الحين والآخر يدعو الله يتضرع إليه ويناجيه ويسأله العون هذا الإنسان يمد الله عز وجل في عزمته للخير ويضعف من قوته في التوجه إلى ما يرضي الله عز وجل، والآخر الذي لم يلتفت إلى هذا المعنى قط بل اعتنق نقيضه يتكبر على الله ويتكبر على الحق ومن يدعو إلى الحق يسخر، كأولئك الذين إذا ذكرتهم بالجنة والنار سخروا وقال لك أحدهم: يا أخي يوم القيامة ادخل الجنة وأغلق الباب ورائك ولا تدخلنا، أو كالذي يقول: إن يوم القيامة سيكون الجو بارداً جداً وجهنم هو المكان المناسب للدفع من هذه السخرية كثيرون هم الذين يسخرون ممن يذكرهم بالله بهذه الطريقة، نوع من الكبر نوع من العناد يتدخل الباري عز وجل إن جاز هذا التعبير إلى قلوبهم ويمكن ويقوي عزيمة الشر ويضعف عزيمة الخير هذه الحقيقة ينبغي أن نعلمها وبعد هذا وقبل أن أختم حديثي عن القضاء والقدر أقول لكم أيها السادة هذا الذي قلته هو منطق العلم في تفسير وتحليل معنى القضاء والقدر

وبيان حلول الأسئلة والمشكلات التي ترد عليهما بقي أن نتقل من حديث العلم إلى منطق العبودية منطق العبودية لله عز وجل.

ينبغي أن نختتم مسألة القضاء والقدر بمنطق العبودية لله ما هو منطق العبودية لله أنني أقول لكم لنفرض أن الله عز وجل خلق عباده فريقين زجّ الفريق الأول منهما إلى الجنة بدون أي موجب للإنسان وزجّ الفريق الثاني إلى النار بدون أن يفعل أي شيء موجب لذلك هل للعبد من حق في أن يعترض هل له أن يقول لم إذا كنت أنت ملك نفسك فإن تملك أن ترفع دعوة على الله وأن تخرج من ملكوته إلى ملكوت غيره كما يفعل اللاجئون السياسيون في الدنيا، لكن إن كنت عبداً وقد عرفنا أن الله موجود وعرفنا أننا عبيده وهو ربنا أي هو مالكننا وخالقنا ونحن عباده أي نحن سلعة في مملكته إذا عرفنا هذا فإن من حق السيد أن يتصرف في عبده كما يشاء، ولا يوجد معنى من معاني الظلم في حق الله أبداً، لأن الظلم هو أن يتصرف الإنسان بملك غيره بدون إذنه هذا هو الظلم وله صور وأشكال كيف يمكن أن يرد هذا المعنى في حق الله الباري عز وجل لا يتصرف إلا في ملكه نحن ملك الله فإن أحرقتنا بناره أو أكرمنا بجنته أو ابتلانا بما شاء من المصائب فنحن صنعة يده والأمر عائد إليه منطق العبودية بعد الكلام الذي قلناه يقتضي أن نقول بألسنتنا وبنبضات قلوبنا: اللهم إنا رضينا بك رباً وبالإسلام ديناً ورضينا بما قضيته في حقنا نحن ملكك ولك العتبي يا رب حتى ترضى.

هذا المنطق هو الذي يحصن الإنسان ضد كل بلاء وضد كل مصيبة وما أدرانا أن الله عز وجل أقام مسألة القضاء والقدر في هذه الدنيا وترك لها بعض الحلول العلمية التي قلنا عنها قفلاً واحداً يستعصي العلم على فتحه ولكن مفتاحاً واحداً هو الذي يفتح هذا القفل الأخير هو العبودية لله عز وجل أن نعلم أننا عبيد لا يمكن لإنسان اصطبع بمعنى العبودية لله أن يناقش في القضاء والقدر أبداً مهما كان الأمر فأنا ملك الله عز وجل والذي يناقش في القضاء والقدر ويلحف في الجدل والنقاش هو ذاك الذي لم يتشبع بمعنى عبوديته لله عز وجل فنسأل الله عز وجل أن يجعلنا عبيداً له بالسلوك والاختيار كما قد خلقنا عبيداً له بالواقع والاضطرار وهكذا نكون قد انتهينا من شرح معنى النبوة ومهمة الأنبياء والرسل وعرفنا أن مهمة الرسل والأنبياء أن يعرفوا عباد الله على الوظيفة التي خلقوا لأدائها وكيف يتعاملون بعضهم مع بعض وكيف يتعاملون مع الكون والحياة وعرفنا أيضاً الدليل العلمي على نبوة الأنبياء والدليل العلمي على نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثم أصغينا إلى كلام الله عز وجل بعد أن عرفنا أنه كلام الخالق وليس كلام المخلوق فعرفنا أنه يخاطبنا إما لينبئنا عن أمور

تتعلق بالكون ماضيه وحاضره ومستقبله أو يخاطبنا بتعليمات أوامر نواهي يوصينا بها وجرّنا هذا إلى مسألة القضاء والقدر فشرحناها شرحاً واضحاً وانتهينا من هذه المشكلة بحمد الله سبحانه وتعالى.

والآن نتجاوز موضوع النبوات وما يتعلق بها إلى المسألة التي تليها وهي الكونيات وحديثنا عن الكونيات انعكاس لإصغائنا إلى كتاب الله سبحانه وتعالى بعد أن آمنّا أيها الإخوة بوجود الله رباً لنا وعرفنا من خلال إيماننا بالله هويتنا أننا عبيد لهذا الإله وجرّنا هذا الإيمان بالطبع والمنطق إلى الإيمان بالرسول والأنبياء وجرّنا الإيمان بالرسول والأنبياء إلى الإيمان بالكتب المنزلة إجمالاً وبالقرآن تفصيلاً لأنه آخر كتاب أنزل وهو جماع لكل الكتب السماوية التي نزلت على الرسل والأنبياء من قبل بعد هذا نجد أن القرآن حدّثنا عن الكون وأطال الحديث في الكون فما هو الكون وماذا نعني به في موضوعنا هنا نعني بالكون ما يسمونه اليوم بالطبيعة أي كل المكونات المرئية الخاضعة لرؤية الإنسان نعني بالمكونات الإنسان نعني بالمكونات أو الأكوان كل ما يحيط بالإنسان من أرض وسماء ونجوم وكواكب وما بين السماء والأرض من رياح وسحب وأمطار ونحو هذا نستثني من ما تشمله كلمة المكونات الجان والملائكة هؤلاء من المكونات ولكننا لا ندخلهم هنا تحت هذه الكلمة لأننا سنتكلم عن الغيبات أي كل ما هو موجود مما لا تراه العين فتتحدث عن الجان والملائكة آنذاك فنحن نصنف هاتين الخليقتين مع الغيبات لا مع المكونات نبدأ حديثنا عن الأكوان بالإنسان ماذا يقول لنا القرآن عن الإنسان يقول لنا عنه أنه أولاً أشرف مخلوق أو من أشرف المخلوقات على الله سبحانه وتعالى إذن يجب أن نعلم هذه الحقيقة يقول الله عز وجل **(ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثيرٍ من أمرئ خلقنا تفضيلاً)** وهذا نص واضح يؤكد أن الإنسان مخلوق مكرّم على الله عز وجل ودليل آخر على هذا في كتاب الله عز وجل قوله سبحانه للملائكة إخباراً عن بدء خلق الله لآدم **(فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين)** إذا سويته آدم ونفخت فيه من روحي أيها الإخوة لاحظوا ينسب الله الروح التي بثها في كيان الإنسان إلى ذاته ونسبة الله الروح إلى ذاته تدل على معنيين واضحين المعنى الأول سمو الروح سموها المعنى الثاني أنها تستعصي على المعرفة والعلم فهو سر من أسرار الله عز وجل لا يعرفه إلى أبد الآباد غير الله سبحانه وتعالى وهذه الآية واضحة الدلالة على أن الإنسان مكرّم على الله بسبب أن الله نسب روحه إليه ويسبب أن الله أمر الملائكة بالسجود له هو سجدوا تكريم لهذا المخلوق لا سجدوا عبادة ولكن العلماء تسائلوا هل الإنسان أكرم المخلوقات كلها يعني هل هو أفضل حتى من الملائكة ذهب جمهور العلماء إلى هذا قالوا إن خواص البشر وهم الرسل والأنبياء أفضل من خواص الملائكة وعوام البشر

وهم سائر المؤمنين بالله إيماناً حقيقياً أفضل من عوام الملائكة وأما الكفرة الفجرة الذين ختم لهم بالسوء فهؤلاء لا يدخلون في هذا الحساب ألا ترون إلى قول الله عز وجل **(لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجرٌ غير ممنون)** هذا كلام الجمهور والدليل على ذلك أن الله أمر الملائكة بالسجود لآدم والسجود لآدم تعبير عن سجود لهذا المخلوق أجمع وكذلك الدليل على هذا لأن الله سبحانه وتعالى شرف الإنسان بالتكليف أما الملائكة فغير مكلفين بمعنى أن الإنسان أودع الله عز وجل فيه الغريزة الشهوانية والنفس الأمارة بالسوء إلى جانب الروح العلوية وبذلك ينشأ الصراع ولا بد أن يسير الإنسان في فجاج متعبة وأن يجاهد النفس والهوى حتى يصعد نفسه إلى الدرجة التي شاءها الله سبحانه وتعالى وهذا التكليف لم يشرف به الملائكة الملائكة بالغريزة يعبدون الله بالطبع نعم وأما الإنسان فهو الذي يقوم الليل ويتقرب إلى الله إذ يغالب نومه ويغالب برد الشتاء ويغالب قصر الليالي في الصيف والإنسان كما يقول محمد إقبال هو الذي يتمتع بلذة الحنين إلى الله عز وجل والشوق الملائكة لا يشعرون بهذا المعنى يقول في إحدى قصائده محمد إقبال: نعم الملائكة لا يفتنون عن التسبيح والتحميد ولكن أين من الملائكة أنيني في الأسفار لا يتمتعون بهذا المعنى كل ذلك دليل على الإنسان كائن مشرف ذو مرتبة عالية عند الله عز وجل إلا إن قضى على نفسه بأن يهبط إلى الدرك الأسفل فقد حق عليه عندئذ قول الله عز وجل **(ثم رددناه أسفل سافلين)** هذا الإنسان عرفنا أول ما ينبغي أن نعلمه أنه أشرف مخلوق أو من أشرف المخلوقات على الله الأمر الثاني الذي يجب أن نعلمه وقد أنبأنا بذلك كلام الله عز وجل أن هذا الإنسان مخلوق من حيث الجنس من التراب ومتكاثر من حيث النوع من آدم عليه الصلاة والسلام يجب أن نعلم أن هذا الإنسان مخلوق كجنس من عنصر من التراب وربما قال بعض السطحيين السذج الذين أعوزهم العلم قبل الدين كيف هذا الإنسان عبارة عن لحم وعظم وأعصاب ودم ونحو ذلك أين هو التراب في كيان الإنسان نحن نقول أو يقول الله عز وجل التراب عنصر أساسي في خلق الإنسان والدليل العلمي على ذلك أن الميت إذا دفن في التراب آل بعد بضع من السنوات إلى التراب علمياً لا يمكن لأي معدن أن يستحيل إلى تراب مادام ليس من عنصر التراب انظروا إلى المعادن التي توجد في تجاويف الأرض لا يمكن أن تتحول إلى تراب أبداً مادة الهليوم الرصاص هذه لو بقيت ملايين السنوات تبقى على حالها لأنها من عنصر آخر غير التراب أما الإنسان فبسبب أنه ترابي بعد عدد يسير من السنوات عشر سنوات ربما أو أكثر يستحيل إلى تراب هذا دليل علمي على ذلك ثم إنه متكاثر من حيث النوع من آبيه آدم عليه الصلاة والسلام لا أقول

من آدم وحواء بل أقول من آدم أولاً لأن الله خلق آدم أولاً ثم خلق حواء من ضلع آدم يجب أن نعلم هذا وانظروا إلى التعبير القرآني الصريح في ذلك **(يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها) وخلق منها من هذه النفس الواحدة زوجها (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تسائلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً) ولعل أحداً يقول لماذا لم يخلقها الله خلقاً مستقلاً لو خلق الله حواء خلقاً مستقلاً لما وجدت أي حنين من الرجل إلى المرأة أو المرأة إلى الرجل ولما وجدت جسراً من العاطفة يصل بينهما وما أجمل حكمة الله وانظروا إلى قوله عز وجل **(وخلق منها زوجها ليسكن إليها) ليسكن إليها فالسر في أن الله خلق حواء من آدم أن تشيع بينهما إلى يوم القيامة هذه العاطفة وهذا الحنين الذي يقوم بدوره بأداء مهمة كبرى فوق هذا الكوكب الأرضي إلى أن تقوم الساعة يجب أن نعلم هذا وإذا جاء إنسان يتمشّدق باسم العلم ويقول ما هذا الإنسان تتطور من حالات كثيرة جداً جداً حتى آل إلى هذا الوضع السوي الذي يتمتع به ولعله ينكر قصة آدم وما إلى ذلك باسم العلم قولوا أيها الإخوة لهذا الإنسان إنك قد استعصت عن حقيقة العلم بشعاراته وكلامه فأنت أفقر الناس إلى معنى العلم العلم ينهض على دليل التجربة والمشاهدة فهل شاهدت الخليقة الأولى من البشر وكيف تسللت من مخلوقات متنوعة حتى وصلت إلى هذه الحال أم إنك تخوض في بحر من الغيبات التي تتباهى بأنك لا تخوض فيها لأنك رجل علم أما نحن فعندما نؤمن بأن الله خلق الإنسان من الأب الأول له وهو آدم فإننا نعتمد في هذا على منهج منهجنا أننا سبق أن آمننا بالله رباً ثم سبق لنا أن آمننا بنبوة محمد عليه الصلاة والسلام بالدليل العلمي الذي فرغنا للتو من بيانه ثم فرغنا من الدليل على أن هذا القرآن كلام الله الذي وصلنا بشكل متواتر ولما أصغينا إلى كلام الله رأينا يحدثنا عن خلقنا الأول وكيف كان ذلك بخلق أبينا آدم عليه الصلاة والسلام وبالأمر قلنا في محاضرتنا الأولى ونحن نخطط للمنهج العلمي للمعرفة كما ذكره العلماء أن الأمور الغيبية التاريخية القديمة بيننا وبينها جسر واحد من سبيل المعرفة هو الخبر اليقيني المتواتر الذي يأتي من مصدر موثوق ثقة علمية فنحن عندما نقرر هذا نلتزم بقواعد العلم أيما التزام ثم الأمر الثالث الذي يجب أن نعلمه أيها السادة والسيدات هو أن الإنسان منذ أن خلق الله عز وجل الفرد الأول منه وهو آدم عليه الصلاة والسلام قد خلق بهذا الشكل الجميل أقامه الله على أحسن تقويم يجب أن نعلم أن الإنسان منذ فجر وجوده كان متناسق الهيئة يسير على قدمين مستوي القامة بهذه الحلقة التي ترونها وهذا كلام الله عز وجل في محكم كتابه (خالق الإنسان) يحدثنا عن خلقه إيانا انظروا إلى قوله عز****

وجل **(لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم)** في أحسن تقويم أي في أحسن صورة وكلمة الإنسان الإنسان اللام هنا للجنس فهي تشمل كل أفراد الإنسان بدءاً من أولهم إلى نهايتهم كل هؤلاء يدخلون تحت هذا الحكم الإلهي ثم إن الله يقول ولقد كرمنا بني آدم وكان تكريم الله لآدم قبل بني آدم وحسبكم تكريماً أن الله أمر الملائكة بالسجود له كيف يكون المخلوق المكرم على الله حيواناً من الحيوانات الهلامية كيف يكون المخلوق المكرم على الله زاحفاً من الزواحف في عهد من العهود كيف يكون المخلوق المكرم على الله بعيداً عن الفكر والوعي والمنطق والله يقول **(وعلم آدم الأسماء كلها)** كيف هذا إذن يجب أن نعلم هذه الحقيقة ولعلكم تسألون الآن وما مصير نظريات النشوء والارتقاء وهي تدرس في كثير من المدارس على أنها علم وأنها حقيقة الجواب ولعل من الخير أن نقول كلمة مفصلة بهذه المسألة أذكركم أيها السادة أننا مع العلم وأنا وقد بايعنا العلم لا نشذ عنه ولا نشرد عنه ينبغي أن نلجأ في كل معضلة إلى العلم أقول لكم إذا أثبت العلم العلم لا الفرضيات العلمية إذا أثبت العلم أن الإنسان متطور من حيوانات أدنى فنحن نعتقد هذا المبدأ ولكني أسألكم الذين يقررون أن الإنسان تطور من حيوانات دنيا علام اعتمدوا في كلامهم وما هو الدليل العلمي الذي استندوا إليه بالأمس قلنا ونحن نرسم منهج البحث عن المعرفة قلنا إن العلم فيما يتعلق بالأمور الخاضعة للتجربة والمشاهدة لا بد أن يعتمد على دليل واحد هو دليل التجربة والمشاهدة فهل شاهد هؤلاء الناس الأناسي القدامى في العصور الخوالي كيف تطوروا قطعاً الجواب واضح لم يشاهدكم أحد قط إذن المسألة غيبية وإذا كان الأمر غيبياً فإن منهجنا إلى معرفة الحق فيه الخبر المتواتر الصحيح الذي يصلنا موصولاً من المصدر والمصدر الموثوق هنا من صانع الإنسان من خالق الإنسان فإذا قال خالق الإنسان إنكم قد تطورتم نؤمن بذلك وإذا قال لنا خالق الإنسان إني قد خلقتكم منذ أول يوم في أحسن تقويم ومنذ أول يوم أورثت أباكم العقل والرشد إذن هذا هو الكلام السليم وكل كلام مخالف لغطٌ ووهمٌ باسم العلم وخداع للمعرفة والعلم وإن تمسّدق أصحابه بألفاظ العلم مهما طاب لهم ذلك وبعد هذا نضع هذه النظرية في ميزان الحقيقة ليست هنالك نظرية واحدة للتطور هنالك ثلاث نظريات مشهورة نظرية لامارك فهو عالم فرنسي هو جاء بنظرية فسر فيها تطور الإنسان كما تخيل ثم جاء بعد ذلك دارون فمزق نظرية لامارك وبنى على أطلالها نظرية أخرى ثم إن العلماء أوسعوا نظرية دارون نقداً وجاء بعد ذلك عالم هولندي بنى على أطلال نظرية دارون نظرية ثالثة واليوم قضي على هذه النظرية الثالثة أيضاً فانظروا قبل أن نناقش أيها الإخوة والأخوات هل هذا منطوق علم أم عبارة عن تطوح لا مارك فرض فرضية دُرست أصحاب هذه النظريات الغربيون مزقوها جاءهم دارون قال



طيب هذه نظرية أخرى درسوها الغريون أنفسهم جاؤوا فنقدوها ومزقوها قال لهم عالم ثالث تعالوا إذن نظور هذه النظرية ولنستبدل بها نظرية أخرى واليوم مزقت هذه النظرية أيضاً إذن هذه أوهام ينسخ بعضها بعضاً وليست عبارة عن قرارات علمية لو كان الأمر قراراً علمياً لما نسخ القرار العلمي ولبقي حياً لماذا نسخت نظرية لامارك لماذا نسخت نظرية دارون دارون الآن نظريته باطله نعم وسأعد لكم إن أمكننا وإن سمح الوقت عشر انتقادات علمية لا المسلمون توجهوا بها بل الغريون نبدأ بلامارك لا مارك يفرض بأن الإنسان تطور ولكن تحت أي العوامل تطور يقول إن هنالك عاملاً واحداً لتطور الإنسان والحيوانات كلها هو عامل الطبيعة المناخ البيئية ويستدل على هذا بما يرى من أن الحيوانات التي لم تكلفها الطبيعة بالمضغ مثلاً كحيوان آكل النمل لا توجد لها في فمها أضراس والحيوانات التي لم تكلفها الطبيعة بأن تنظر بأن تستخدم عينيها لم تمتعها الطبيعة بعين قوية كالخلد مثلاً وإذن الطبيعة هي التي تؤقلم أو تهين الحيوان لما يتناسب مع وضعه ويقول لنا إن الحيوانات بسبب الوضع الطبيعي تكون الجلد والجلد واحد الذي في باطن الرجل نعم يكون ذا غلظ أشد من الذي على ظاهر الجلد لماذا لأن الجلد الباطني هو الذي يلامس الأرض ويمارس مهمة المشي فمع الزمن اكتسب هذا الجلد غلظاً وهكذا يقول لامارك إن الإنسان أو الحيوانات كلها تتطور شيئاً فشيئاً من حال إلى حال تحت سلطان عامل البيئة وبناء على ذلك فإن الإنسان هو الآخر قد تتطور من أحوال إلى أحوال إلى أن وجدناه على هذه الظاهرة بسبب انتقاله من مكان إلى مكان وبسبب الظروف المناخية التي واجهت الإنسان من الذي رد على لا مارك لا المسلمون الغريون هم الذين ردوا عليه ولكن بعد أن اعتنق كثير من الناس نظريته ووجدوا أنها جاءت نجدة لهم تفسير لفرضية كانت تعوزها الصيغة العلمية لكن بعد تفكير انتقدوا هذه النظرية وقالوا إننا نرى الحيوان قبل أن يولد قبل أن يولد وهو جنين في رحم أمه مهياً لما يتناسب مع المناخ الذي سيعيش فيه فالطفل منذ أن يولد ننظر فنجد أن جلد باطن قدمه أكثر غلظاً من الجلد الذي على ظاهر قدمه فهذا يعني أن البيئة ليس لها أي دور تلعبه في هذا الصدد والحيوان الذي يسمى بأكل النمل يولد وهو لا يتمتع بأضراس والخلد منذ ولادته له هذه العين الصغيرة التي لا تكاد ترى إلا قليلاً إذن نحن لم نشاهد التفاعل الذي يتم بين الطبيعة وبين الحيوانات حتى نقول إن الطبيعة هي التي طبعت وإذا قال لنا لامارك إن الطبيعة فيما مضى تطورت ثم دخل هذا التطور في المخزون الوراثي فأصبح الجنين يولد بهذا الحال هذه دعوة من الذي رحل إلى ما قبل آلاف السنوات أو مليون سنة لو فرضنا ووجد أن الطفل كان في سابق عهده يولد باطن قدمه ظاهر قدمه بغلظ واحد في الجلد حتى نقول أن هذا تطور ثم دخل في المخزون

الوراثي هذا كله كلام الغربيين ثم قال الغربيون له الكلام الأطم والذي نسخ النظرية كلها وقضى عليها قالوا له الطبيعة تؤثر لكن تأثيراً سطحياً ولا تستطيع الطبيعة أن تطور تطوراً جوهرياً نحن نفرض أن الإنسان كان يزحف أن الإنسان كان هلامياً ثم إنه تحول إلى حيوان يمشي على أربع ثم إلى حيوان يمشي على رجلين ثم إنه استقام البيئة الشمس الهواء الأرض الجبال لا تفعل شيئاً من هذا سلطان البيئة على الظاهر على الجلد تجعل الجلد أسمر أو أبيض غليظاً دقيقاً هكذا نحن نريد تفسيراً علمياً لفرضية نبتناها وهي أن الإنسان كان حيواناً من الحيوانات من قبل ثم إنه تطور ولا بد هنا من عامل يدخل معنى التطور في كيانه وهكذا قضي على نظرية لامارك جاء دارون فألف كتابه في أصل الأنواع وخلاصة ما جاء به أن العامل الذي يكمن وراء تطور الحيوانات كلها والإنسان واحد منها الصراع على البقاء مع تفاوت هذه الحيوانات في قوتها وتماسكها ضد عوامل الطبيعة الحيوانات كانت ولا تزال متفاوتة في درجة قوتها وكل منها يريد لنفسه البقاء فدخلت الحيوانات حلبة الصراع وكان البقاء للأصلح ولما كان الإنسان هو الحيوان الذي يتمتع بمزيد من الطاقات والذي يكتنز مزيداً من القوة التي تعينه على الثبات في الصراع كان الإنسان هو الذي سبق منافسيه في هذه الرحلة فتطور ثم إنه أخذ الصدارة في قائمة هذه الحيوانات هذا أو هذا باختصار كلام دارون ودارون عندما يقول هذا الكلام علام يستند ما هي أدلته يستند على دليل واحد هو علم الأجنة في الحيوانات عامة والإنسان خاصة يقول عندما ننظر إلى تتطور الجنين في رحم الأم نجد أن الجنين يتطور بالشكل ذاته الذي تتطوره الحيوانات فالإنسان ينتقل من حال إلى حال في رحم أمه تماماً كما ينتقل الحيوان والإنسان في رحم أمه يكون له ذيل كما يكون للحيوانات الأخرى ثم إن هذا الذيل يختفي في الإنسان عند الولادة ويبقى بالنسبة لسائر الحيوانات الأخرى ولم يعتمد دارون على المستحاثات كما يقول بعض الواهين لأن موضوع المستحاثات أعجزه ولم يأت منه بطائل إطلاقاً نظرية دارون هذه نالت هي الأخرى شهرة واسعة المدى فهل قال العلماء كلمتهم في حقها إن أجمع العلماء أنها حق وكان الدليل يقضي بذلك نقول أيضاً هذا لأننا رواد علم ولكن سائر العلماء في الغرب اتفقوا جميعاً على نقض نظرية دارون وعلى أنها باطلة وأنا لم أقرأ نقض نظرية دارون في كتب المسلمين ولكني قرأتها في كتب الغربيين وهم الذين ردوا على نظرية دارون بماذا ردوا بكلام كثير لو أردنا أن نأتي على تفصيله لأحوجنا عدد من المحاضرات في بيان ذلك لكننا نلخص الكلام باختصار قالوا له لقد عثر العلماء على هياكل عظمية تعود إلى ما قبل العصر الجليدي ولدى المقارنة بين تلك الهياكل وحيواناتها اليوم لم نجد أي فرق ولو كان الأمر كما تقول لرأينا فرقاً كبيراً وقد طرح هذا الاعتراض على دارون نفسه وسجل دارون

هذا الإعتراض في كتابه فهل تعلمون بماذا أجاب دارون أيها السادة قال إذا أردنا أن نجيب عن هذا السؤال فلسوف نجد أنفسنا عاجزين عن أسئلة أقل من هذا السؤال تعقيداً اعترف دارون بعجزه عن الإجابة لا عن هذا السؤال بل عن أسئلة أخرى أيضاً أقل من هذا تعقيداً اعترض آخر أيضاً أورده دارون على نفسه في كتابه واعترف بعجزه عن الجواب قال قالوا له إن هنالك حيوانات تتمتع بقدرات إلى الآن وهذه القدرات كانت ترشحها لأن تتبوأ مناصب أعلى في السباق التنافسي على الحياة فلماذا لم تتطور هذه الحيوانات الأخرى وكان من سوء حظها أن بقيت قابضة في وضعها وكان التطور من حظ الإنسان وحده قال أيضاً إننا نعجز عن الإجابة عن أقل من هذا السؤال تعقيداً وكل من رجع إلى كتاب أصل الأنواع لدارون بوسعه أن يجد اعتراف دارون هذا اعترض ثالث وجه إلى دارون قالوا له وانظروا أيها الإخوة إلى هذا الاعتراض قالوا له أنت تقول إن الحيوانات دخلت حلبة صراع وكان البقاء للأصح وكان الأصلح هو الإنسان هذا الكلام مقتضاه أن لا نجد مكاناً للحيوانات الهلامية على وجه الأرض وأن لا نجد مكاناً للحيوانات الزاحفة أيضاً على وجه الأرض لأن الصراع ينبغي أن يكون قد قضى عليها ولكننا ننظر فنجد الحيوانات الهلامية موجودة إلى الآن تملأ ركب الأرض والتي فوقها بدرجة موجودة إلى الآن والتي فوقها بدرجة موجودة إلى الآن فأين هو أثر الصراع وأين هو أثر السباق معنى قولك البقاء للأصلح هو مدار نظريته أن غير الصالح ينبغي أن يموت ينبغي أن يقضى عليه ولكن ها نحن نراه جنباً إلى جنب مع الإنسان يعيش فأين هذا الذي تقول اعترض أيضاً على دارون فقيل له إنك رأيت تناسباً بين أصناف المخلوقات فرأيت الحجارة أعلى أنواعها الجوامد أعلى أنواعها يشبه النباتات في أدنى درجاتها ورأيت أعلى درجات النباتات في نباتات في الهند تشبه الحيوانات وتفترس حتى نعم حيوانات حشرية رأيت أعلى درجات النباتات تشبه أدنى درجة الحيوانات وأعلى درجة الحيوانات تشبه الإنسان ما الذي أدراك أن هذا التناسب كان من أصل الخلقة وأن هنالك أصنافاً متعددة من المخلوقات لكن هذه الأصناف متدرجة في التشابه هذا أيضاً مما اعترض به على دارون قيل لدارون أيضاً أنت تقول البقاء للأصلح ولكننا نرى الموت لا يفرق بين صالح وفساد أيضاً الغريون قالوا له هذا الكلام والموت كمنجل يحصد الكل الموت ظاهرة طبيعية لماذا لا ينجو الأصلح من الموت بل عندما ننظر إلى التاريخ الطبيعي وإلى تاريخ الحيوانات نجد أن الموت يجتث ويستأصد الأقوياء قبل الضعفاء لأن القوي دائماً هو الذي يغامر أما الضعيف فيتحصن بضعفه نحن نعلم أن القوي هو الذي يغامر ومن ثم فإن الموت يحصد الأقوياء أكثر مما يستبد بالضعفاء وأنا كما قلت لكم أكتفي بهذا القدر من الاعتراضات التي وجهت إلى دارون لأقول نظرية

دارون قضي عليها أخيراً جاء بعد ذلك العالم الهولندي الذي طور نظرية دارون فلم تبقَ إلا سنوات وقضي عليها أخيراً وفي الجامعات اليوم دراسة نقدية لهذه النظريات الثلاث دراسة نقدية بما يدل على بطلانها ولعلكم تسألون الآن إذا كان الأمر كذلك فلماذا يظل الغربيون اليوم يفرضون أن الإنسان تطور من حال إلى حال ما دام التفسيرات الثلاثة ظهرت أنها تفسيرات باطلة الجواب وأرجو أن تتأملوا بدقة جوابي هو التالي الغربيون أغلقوا على أنفسهم نافذة الاستقصاء في البحث وأبعدوا عن أنفسهم الفرضية التي متعنا الله بها وعرفنا أنها هي العلم والحق أبعدوا عن عقولهم أن الله خلق الإنسان كما شاء وخلقها بادئ ذي بدء بهذه الصورة لم يصغوا إلى كلام الله ومن ثم سجنوا أنفسهم في سجن الطبيعة فلما فعلوا بأنفسهم هكذا هم يرون إلى الطبيعة فيجدون كل شيء يتطور من حال إلى حال قالوا إذن تطور من حال إلى حال بناء على ما حصروا أنفسهم فيه ولكن ما الصيغة العلمية التي يمكن أن يعتمدوا عليها لهذا التطوير ما وجدوا إلى الآن صيغة علمية الصيغ العلمية كلها خانتهم ولكنهم يعودون بعد الإفتقار مرة أخرى إلى افتراض أن الإنسان قد تطور لماذا يفترضون هذا لأنهم سجنوا أنفسهم في سجن الطبيعة فكان شأنهم كشأن إنسان موجود في دار واسعة كبيرة أقفل على نفسه أقفل باب المطبخ الذي فيه من الطعام ما لذ وطاب ولم يشأ أن يفتح هذا الباب ليدخل إليه فيتخير الطعام الذي يريد وأخذ يبحث في الغرف الأخرى عن طعام يأكله لم يجد إلا كِسراً من الخبز ولم يجد إلا طعاماً بشيعاً قال هذا كل ما يوجد إذن لا بد من أن أكتفي بهذا الطعام الحقيقة هو الذي فعل بنفسه هذا فجاء استقصاؤه ناقصاً نقول له افتح هذه الغرفة وانظر إلى الطعام الذي يغريك ويشبعك هؤلاء أيضاً أغلقوا على أنفسهم نافذة الحق وكلام الباري عز وجل وحبسوا أنفسهم في الطبيعة فكان لا بد أن يجاروا وأخيراً أقول لكم آخر ما مزق هذه النظريات كلها شر ممزق باسم العلم الحق قانون الصبغيات الذي اكتشفه العلماء منذ سنوات 52 أو 70 سنة تقريباً هذا الشريط الوراثي الذي اكتشفه العلماء في الخلية الإنسانية والذي دلهم على أن هذا الشريط يحوي صفات الإنسان الخُلُقِيَّة والخُلُقِيَّة والطبائع والسجايا كل ذلك إذن سجايا الإنسان أخلاقه طبائعه لم تلتصق به من البيئة ولكنها نابعة في كيانه من الداخل إذن لا يمكن أن نتصور أن الإنسان قد جاءه التطور من خارج كيانه هذا المعنى هو الذي قضي على التطور ونظرياته نهائياً ولعلنا نعود إلى خاتمة بحثنا هذا بشيء من التفصيل في محاضرة أخرى أقول قولي هذا وأسأل الله لي ولكم القبول والحمد لله رب العالمين.